الإسقاط النجمي والثيوصوفية

المحتويات

الإسقاط النجمي

يعتبر العديد من المؤمنين بالإسقاط النجمي (التجوال النفسي) أن تجارب الخروج من الجسد تمثل أحداثا عميقة ومؤثرة. ويسود الاعتقاد بان هذه التجارب توفر أدلة دامغة أو على الأقل شهادات قوية على أن شخصياتنا وذكرياتنا ليست محصورة في مادة أدمغتنا ولكن في أجسادنا النفسية والفكرية. وحالما يتحرر من الجسد المادي، كما يخبرنا هؤلاء، فان الجسد النفسي يتمكن مؤقتا من الطيران، ويتجول في العالم، ثم يعود لكي يرتبط بنظيره المادي. هذا الاعتقاد منتشر في كل أرجاء العالم، ولكن هل هو قابل للإثبات كتفسير لهذه التجارب؟

إن تجربة الخروج من الجسد هي إدراك المرء بان نفسه أو وعيه (جسده النفسي) قد غادر بطريقة ما جسمه المادي، وهو يستطيع عندئذ أن يرى هذا الجسم المادي مستلقيا؛ كما

انه يرى العالم حوله من منظور مختلف. وعادة ما يكون أمد هذه التجربة قصيرا، حيث تستمر لثوان معدودة، رغم وجود حالات تطول فيها لدقائق أو ساعات. إن حدوث هذه الظاهرة أمر شائع، لكن أغلب الناس يجهلون هذه الحقيقة. ففي واحد من أكثر الاستطلاعات شمولية، كشف الباحث جون بالمر أن ١٤% من سكان مدينة شارلوتسفيل، التابعة لولاية فيرجينيا الأمريكية، قد مروا بهذه التجربة ولمرة واحدة على الأقل.

وتختلف الوقائع التي تسبق هذه التجربة وتحدث أثنائها الى حد كبير من شخص لآخر، لكن العديد من العناصر المشتركة بينها قد تم التعرف عليها. فالإنسان الذي يمر بهذه التجربة غالبا ما يحس بالأمور التالية: انتشار موجة من الطاقة في جسمه، وكذلك سلسلة من الذبذبات، وأصوات طقطقات وفرقعات في الرأس بالإضافة الى ضوضاء غريبة. وبعد انفصال الوعي عن الجسم، فان المرء يرى جسمه وكذلك العالم المحيط به. والعديد من الناس يتحدثون عن رحلات يقطعون خلالها العالم بعيدا عن أجسامهم وذلك بواسطة وعيهم، ويقومون بالكثير من المغامرات. بعضهم يرى العالم، خلال هذه التجربة، غريبا وغير عادي، في حين يراه آخرون مطابقا للعالم الحقيقي. كذلك الحال فيما يتعلق بوضوح البيئة الخارجية لهذا العالم، فقد رآها البعض نابضة بالحياة ومليئة بالتفاصيل، بينما قال آخرون بأنها شفافة وتفتقر الى التفاصيل. وهناك وقائع اقل تكرارا، لكنها مهمة لهذه الدراسة، وتتضمن حالة من الخدر تعم الجسم، ورؤية حبل فضي يربط بين الجسم المادي والوعي.

الثيوصوفية

لقد وفرت الثيوصوفية (الحكمة الإلهية) الخلفية الفلسفية والنظرية الأساسية لتفسير وقائع تجربة الخروج من الجسد. فالمصطلحات مثل: العالم النفسي، الجسد النفسي، والحبل الفضي، مُستقاة من الأدبيات الثيوصوفية. ذلك أن الثيوصوفيين يعتقدون بان الإنسان يتركب من سبعة أجساد متداخلة، يرتبط كل واحد منها مع أحد عوالم الوجود السبعة. هذه الأجساد والعوالم، حسب تسلسلها من الأدنى الى الأعلى، تدعى: المادي، النفسي، العقلي، الحدسي، الروحي، الجوهري، والرباني. وكلما انتقلنا الى الأعلى تقل الأجساد من ناحية

الكثافة المادية وتزداد شفافية ومرونة، فالجسد النفسي اقل صلابة وأكثر رهافة من المادي، وهكذا. ويستطيع الإنسان أن يتخذ أي واحد من هذه الأجساد، وخصوصا النفسي والعقلي، مركبة يتجول بواسطتها في العالم الخاص بذلك الجسد.

إن الجسد النفسي والعالم النفسي يتمتعان بأهمية خاصة في موضوعنا، لأن معظم الناس يعتقدون، تأثرا بالثيوصوفية، بان التجوال النفسي هو انفصال الجسد النفسي عن الجسم المادي. ويفترض بهذا الجسد النفسي أن يكون مماثلا للجسم المادي في أدق تفاصيله. لكنه رغم ذلك يتمتع بمواصفات خاصة. ويشمل ذلك الإدعاء بأنه موطن الرغبات والمشاعر والعواطف الإنسانية. وهو يمتلك هالة، وُصفت بأنها كتلة من الطاقة تُحدثها ذبذبات ذلك الجسد. كما أن له القدرة على المرور من خلال الجدران والانتقال بسرعة هائلة، حتى انك تجد جسدك النفسي في أي مكان بعد لحظات من مجرد التفكير فيه. وأخيرا لدينا الحبل الفضي. هذا الحبل، الذي يقال بأنه يربط الجسد النفسي بالجسم المادي على الدوام ـ وهو مساهمة ثيوصوفية أخرى لظاهرة الخروج من الجسد. وقد سُمي كذلك لأن لونه فضي، بالاضافة الى انه مرن ومتين جدا. كما أن هناك اعتقادا بان انقطاع هذا الحبل يؤدي دون شك الى الوفاة.

إن الفكرة القائلة بان البشر جميعا لديهم قرين يمكن أن ينفصل عنهم قبل الموت لم تكن جديدة عندما كشفت بلافاتسكي عن وجود الجسد النفسي. فهذا المعتقد يعود الى الإغريق القدماء. فلقد كتب أفلاطون في محاورة "فيدروس": "... نحن سجناء في الجسد، مثل المحارة في صدفتها." (أفلاطون، ٣٦٠ ق.م). كان يعتقد بان جسدنا الروحي الباطني مسجون داخل جسدنا المادي الكثيف، وإذا ما تحرر سيكون قادرا على رؤية الأشياء بوضوح اكبر والاتصال بالأموات. كما آمن المصريون كذلك بان لدينا جميعا توأم خفي، يطلقون عليه (كا). كانوا يعتقدون بان كا الخاص بكل شخص يتم خلقه مع جسمه المادي، وبأنه يستطيع التجول باستقلالية حيثما يشاء. وكان الغرض من ترك الغذاء واللوازم الأرضية في القبور هو استخدامها من قبل الكا. أما كتاب الموتى التبتي فيتحدث عن جسد الباردو، وهو نسخة مطابقة لجسمنا المادي، مصنوع من مادة لكنها في حالة أثيرية غير مرئية. ويستطيع هذا الجسد المرور عبر المادة العادية وبلوغ أي مكان يريده في الحال. إن وجود القرين يتردد كذلك في الخرافات الشعبية للعديد من الحضارات في كل أنحاء العالم. ففي النرويج، تروى العديد من الحكايات عن القرين (ويسمونه فاردوجر) الذي غالبا ما يصل الى مقصد المسافر قبل وصول المسافر نفسه. وفي اسكتلندا يؤدي التاسلاش

(القرين) الدور نفسه، وعادة ما يطرق على الباب ويتم الترحيب به قبل أن يصل الشخص الأصلي.

إن رؤية القرين النفسي عادة ما تعتبر في التراث الإنساني نذير شؤم. فقد ورد أن ملكة بريطانيا في القرن السادس عشر، إليزابيث الأولى، شاهدت رؤيا، وذلك قبل وفاتها بفترة قصيرة، حيث انفصل وعيها عن جسمها الذي كان يستلقي على فراش الموت، شاحبا ودون حراك. وقد ادعى كل من الشاعريين، الألماني جوته والإنكليزي شيلي، أنهما شاهدا قرينيهما. وعندما رأت كاثرين العظمى، إمبراطورة روسيا الشهيرة، قرينها النفسي قادما باتجاهها، لم تخاطر وأمرت الحرس الإمبراطوري بإطلاق النار عليه. وقد آمن الناس منذ زمن طويل بقدرة الساحرات على إرسال أجسادهن النفسية الى أماكن بعيدة لغرض القيام بأعمال معينة غالبا ماتتسم بالشعوذة. ونتيجة لذلك، تم إعدام الكثير من النساء في القرون الوسطى على يد محاكم التفتيش، رغم أنهن كن في أماكن بعيدة عن مسرح الجريمة.

العالم النفسي

عند التجول في الطبقة السابعة (السفلى) من العالم النفسي، يرى الإنسان نفسه بواسطة حواسه النفسية وكأنه شبح يتنقل في العالم المادي؛ وذلك لأن هذه الطبقة متداخلة مع سطح الأرض. في هذه الطبقة يمكن التعامل مع الأشياء المادية والتأثير فيها، وكذلك يمكن التعامل مع البشر الأحياء والتواصل معهم. أما التجوال النفسي في الطبقة السادسة فيكون في النسخة النفسية من العالم المادي، وهي مطابقة للعالم المادي بكل تفاصيله لكنها نفسية بالكامل. ولكن في الطبقات الأعلى، يبدأ عالم نفسي جديد، وهو في الحقيقة من صنع البشر الأموات، وذلك باستخدامهم الفكر والتخيل.

مخاطر التجوال النفسي (الإسقاط النجمي)

مر الدكتور ثاديوس حياة بتجربة في التجوال النفسي، وقد حصلت له في ثمانينات القرن التاسع عشر. في ذلك الوقت كان طبيب أسنان شاب وطموح. القصة حدثت في مانهاتن السفلى، نيويورك، عندما لاحظ وهو يتجول هناك رجلين متقدمين في السن يتمشيان على مهل، وقد انخرطا في حوار جدي. تعرّف على احدهما وكان عضوا في الجمعية الثيوصوفية. أما الآخر فلم يكن من معارفه.

وقد تبين أن الغريب، واسمه السيد ايفيرت، كان يعاني من مشاكل مالية مع أناس في بوينس آيرس، وكان بحاجة لأن يعرف ما يدبرونه من وراء ظهره. كان عضو الجمعية منوما مغناطيسيا بارعا؛ وقد اقترح أن ينوّم الدكتور حياة ويرسله في تجوال نفسي الى هناك كي يتحرى الأمر.

وبالفعل فقد تم تنويم الدكتور حياة، وإرسال جسده النفسي الى العاصمة الأرجنتينية. وعندما وصل هناك اجتاز جدران البناية المقصودة بسهولة، ووجد نفسه في غرفة كبيرة يجلس فيها عدة أشخاص، وهم مُنهمكين في حوار جاد. عندئذ قام بنقل كل التفاصيل المتعلقة بالغرفة والأشخاص والحوار الدائر بينهم الى السيد ايفيرت. وعندما اكتفى الأخير بالمعلومات التي حصل عليها، طلب من المنوم إعادة الجسد النفسي للدكتور الى جسده المادي، ومن ثم إيقاظه. وما كاد حياة يبدأ مشوار العودة حتى شعر بالهلع يجتاحه. فقد أحس بأنه مرغم على النظر الى الوراء؛ ليرى خلفه مباشرة غمامة سوداء تلحق به. انتابه الرعب فزاد الدكتور من سرعته. ثم نظر مرة أخرى الى الخلف. كانت السحابة السوداء تتميز من الغيظ، ويبدو أنها زادت أيضا من سرعتها في محاولة للحاق به. أصاب الدكتور الهلع، فزاد هذه المرة من سرعته الى أقصى حدود استطاعته، من اجل الوصول الى بر الأمان حيث جسده المسجّى في نيويورك، قبل أن يمسك به ذلك الكائن المرعب المجهول.

استيقظ الدكتور على الأريكة قرب صديقه والسيد ايفيرت. كان يرتجف ويتعرق كما لو انه عانى من كابوس مرعب، ثم اخبرهما عن السباق الذي خاضه مع الغيمة السوداء ذات الطلعة الشريرة.

شكر السيد ايفيرت الرجلين بحرارة على خدماتهما، وقال بان المعلومات التي حصل عليها كانت كافية وذات فائدة عملية بالنسبة اليه. ثم أوصاهما بالتزام السرية حول الموضوع.

لكن الدكتور حياة عانى من الصدمة العصبية الناجمة عن تجربته المروعة؛ وقد استمرت بضعة أيام قبل أن تتلاشى. لكنه تفاجأ، بعد تسعة أيام من رحلته النفسية، باستلام رسالة مختومة بختم البريد الانكليزي، ومؤرخة في اليوم نفسه الذي قام بزيارة بوينس آيرس نفسيا خلاله. تزايد ذهوله وهو يقرأ الرسالة المدهشة، التي كانت قصيرة وفي صلب الموضوع. وهذا هو نصها:

"سيدي العزيز: ما قمت به قبل قليل هو عمل بالغ الحماقة. فلقد تجنبت بهامش صغير عملية احتلال جسدك المادي من قبل روح شريرة. ولو أنها نجحت في الاستحواذ عليه قبل وصول جسدك النفسي اليه بسلام، لبقيت تعاني عذابا روحيا، نتيجة خسارة جسمك المادي. أتوسل إليك، لا تعرض نفسك لمثل هذا الخطر ثانية.

السيدة بلافاتسكي"

صُعق الدكتور حياة من الدهشة. كيف علمت السيدة بلافاتسكي، مؤسسة الجمعية الثيوصوفية، برحلته النفسية الى بوينس آيرس؟ ثم عاين الرسالة والظرف بدقة. لقد وردت من انكلترة، وهي مؤرخة في يوم الرحلة النفسية. ولكن كيف؟ من ابلغها؟

لقد تدخلت السيدة في هذا الموضوع لأن احد أعضاء جمعيتها هو الذي عرض حياة الدكتور للخطر، وذلك على الرغم من السياسة الصارمة للجمعية بهذا الخصوص. بالإضافة الى أن مثل هذه الممارسات يجب ألا توظف من اجل المنافع الذاتية الأنانية وغير المشروعة.

إن الأرواح الشريرة، وهناك بضعة طوائف منها، ليست هي المصدر الوحيد للخطر. فهناك عدد من الحوادث التي قد تقطع أو تضر بالحبل الفضي الذي يربط الجسدين النفسي والمادي؛ الأمر الذي قد يسبب الموت أو الجنون. وقد صرحت بلافاتسكي بان عددا كبيرا من حوادث الموت خلال النوم، أو حالات الجنون الغامضة، تعود الى مثل هذه الرحلات النفسية، التي تحدث سهوا أو عمدا. ثم أن هناك نوع آخر من الخطر يتمثل في إجراءات الحماية التي تتخذها بعض المؤسسات، والتي قد تشكل خطرا على كل متطفل. فقد روت امرأة أنها حاولت، عن طريق التجوال النفسي، أن تتسلل الى مكتبة الفاتيكان، من اجل أن تطلع على بعض الكتب السرية هناك؛ إلا أنها فوجئت بوجود جدار ناري خطر يطوق المكان ولا يمكن اختراقه.

كما ذكر الحكيم دجوال كول، في كتاب (الأشعة والترقيات) للكاتبة الثيوصوفية أليس بيلي، أن الدخول الى العالم النفسي يتيح للقرين النفسي أن يجتذب الى الجسد النفسي مادة نفسية من مستواه. فما لم يكن القائم بالتجوال النفسي قد عمل على تطهير جسده النفسي من المشاعر والرغبات والأهواء السفلية، فان القرين النفسي سوف ينمو ويزداد قوة بعد كل رحلة نفسية؛ الى أن يسيطر تماما على الإنسان ويسخره لغاياته السفلية. وما يزيد الأمر سوءا هو أن طبقة العالم النفسي السفلى والملاصقة لسطح الأرض تعتبر موطنا للكائنات

النفسية القبيحة والمزعجة، وأحيانا الشريرة والخطرة. بالإضافة الى أن أموات البشر، من ذوي المستويات الأخلاقية المتدنية، يهيمون في هذا العالم مثل أسماك القرش. وتحتوي هذه الطبقة كذلك على غيوم سوداء هائلة تمثل مشاعر ورغبات وأفكار البشر التي تجسد الحقد والكراهية والانتقام والغضب، وكذلك الشهوات الدونية المنحطة. وهذه الغيوم تشكل كيانات نفسية وفكرية عملاقة تستحوذ على طوائف وأمم بأكملها وتتحكم بها؛ ويطلق عليها الوعي الجمعي أو وعي القطيع.

وقد عبر روبرت مونرو في كتابه الأول (رحلات خارج الجسد) عن إحساسه بالاشمئزاز والرعب أثناء اجتياز هذه الطبقة في كل مرة يقوم بتجواله النفسي. ففي احدي المرات، فوجئ وهو يفصل جسده النفسي عن الطبيعي بشخص يهجم عليه ويتعارك معه، ولم يفلح في التخلص منه إلا بشق الأنفس. كما انه شبّه المرور خلال هذه الطبقة باجتياز حي يسكنه المجرمون وأفراد العصابات. وفي كثير من المرات كانت تطارده اسماك نفسية متوحشة، وهي تحاول أن تنهش من جسده النفسي. إن العالم النفسي كالعالم المادي مليء بالمدن والسكان من كل الأجناس والأنواع والطبقات؛ لكن الطبقة السابعة منه هي الأسوأ. فعلى كل من يفكر بتجربة التجوال النفسي أن يعتمد الدقة والحذر، وان يتدرب على يد خبير موثوق في هذا المجال.

سعد محمود

٢٠\ ١٢\ ٢٠١٤

Saad_ysf@yahoo.com

المراجع

1- Theosophical Notes, October 1953. "Astral Journeys".
2- Alice Bailey, Rays and the Initiations. 1960 By Lucis Trust.
3- Robert Monroe, Journeys Out Of The Body. New York: Doubleday. 1971.
4- Robert Novella, Out of Body Experiences and the Astral Hypothesis. May 2003.

ملاحظات ختامية:

١- للمزيد من المعلومات عن العالم النفسي والجسد النفسي والقرين النفسي، يرجى مراجعة كتاب (مبادئ الثيوصوفية)، لمؤلفه ليدبيتر، وهو من ترجمة حكيم رشيد.

٢- إن جميع المراجع السابقة هي عبارة عن نسخ الكترونية متوفرة على شبكة الإنترنت.